

حديث المال

بقلم ابراهيم عبد القادر المازني

جلسنا ثلاثة من الاخوان نتحدث عن المال وكيف ينال - فقد مات زخاروف رجل الأسرار أو الظلام كما يسمونه وصار ذكره على كل لسان ولهجت الصحف بملايينه وأعماله الصحيحة أو الموهومة وأخذ عنها الناس وراحوا يلغطون . وأحسب ان لو كان زخاروف حيا واستطاع أن يسمع ما يروى عنه ويعزى اليه لأذهله ذلك ويكفى أنه مامن ثورة أو حرب شبت في الخسین سنة الأخيرة الا وهو فيما يقال مضرم نارها

وقلت لصديقي : « أما أنا فلست أعرف وسيلة للغنى الا هذه - أفتح عيني في الصباح وأدس يدي تحت الوسادة لاتناول الساعة وأنظر الى وجهها فأجد مكانها كوما عاليا من الأوراق المالية الكبيرة . وعلى ذكر هذه الأوراق الكبيرة أقول - ولا غفر - إنى مارأيت ورقة بمائة جنيه الا مرة واحدة في حياتي . أم تراها كانت بخمسين فقط . . والله ما أدري . . الحاصل . . أعطيها لأبديها وأخذ منها قدرا معينا وأرد الباقي فوضعتها في جيب البنطلون وأبقيت كفى عليها خوفا من النشل وذهبت الى البنك - المصرف كما لا يسمى - ولا أطيل . وحسبي أن أقول ان الرجل كان ينظر الى نظرة من تحدته نفسه بأنه يحسن جزى حتى تجمي . والنيابة . . . وصار معي عدد كبير من الورق فوضعت حتى في جيب والباقي في جيب آخر انقاء للاختلاط والحاجة الى إعادة العد والحساب . وقد تعلبان كرهى لهذا الحساب أو جهلى به على الأصح . وجاء الليل - وكنت أعمل في ذلك الوقت في جريدة صباحية ، فانا أعمل بالليل وأنام بالنهار - وتذكرت انى على موعد مع صديق في الساعة الحادية عشرة وكنت جائعا فقلت أذهب الى محل جديد في شارع عماد الدين وآكل لقمة أو اثنتين من « السندويتش » ثم أذهب الى موعدى . وكنت قد وضعت الأوراق في المحفظة - على خلاف عادتي - ولم يكن معي من النقود الصغيرة غير قرش واحد . وحدثني نفسي وأنا آكل انه يحسن ان أشتري شيئا من هذه الفاكة فان منظرها مفر ، فاخرجت جنبها

ولكن الزحام كان شديدا فكادت روحي تزهر ورأيت أن الأمر سيطول فدستت الجنيه في جيبى وانصرفت ولقيت صاحبي على « القهوة » وعدت الى البيت فأحسست وأنا أخلع ثيابي ان « الجاكته » خفيفة فنظرت فيها فاذا المحفظة قد طارت . أى والله . قطع النشال الجيب بسكين أو موسى أو لا أدري ماذا وأخذ المحفظة . . .

وعندنا بعد هذه الذكرى الاليمية الى زخاروف والملايين فقال أحد الصديقين : « لماذا لا نرى في الشرق ناسا يصبحون أصحاب ملايين كما يحدث في الغرب كثيرا . . . » فقال ثالثنا : « ان الغنى العريض الواسع يستفاد من الصناعة والتجارة لا من الزراعة فانها محدودة وكل عمل لا يقبل التوسيع والتماء المطردين لا يمكن ان تنجى منه ملايين ولا ما يقرب منها . » فقلت : « ولا تنس يا صاحبي ان الخطار في حكم المعدوم في الشرق . ولا بد من المغامرة لطالب الثروة الكبيرة السريعة . ولعل إخواننا العرب أعظم منا جرأة واقداما وأكثر استعدادا للمغامرة . والمحقق أن المصريين اطلب للراحة والدعة والاطمئنان على الرزق . وهم يرضون بالقليل اذا كفل لهم الاطمئنان وقد كانوا الى بضع سنوات يعدون صاحب التجارة أحظ مقاما من صاحب الزراعة وأحسب ان هذا لأن رزق الزارع مكفول ولكن الرزق من التجارة على كف عفريت . واسمعوا هذه الحكاية : لما عدت في العام الماضي من العراق جاءني صديق حميم وذكر لي ان له صاحبا يشتغل بصناعة الجلود وانه يرجو منى المعونة ليحتكر جلود الأضاحى في موسم الحج في الحجاز فقلت له : إنى أعرف أن الحكومة العربية تكره الاحتكارات ولا ترضى أن تظلم رعاياها على نحو ما يبغي صاحبك ثم إنى لا أستطيع أن أستغل علاقتى بهؤلاء القوم ، ولكنى أشير بما هو خير من ذلك وأجدى على صاحبك إذا كان عاقلا . . واقترحت عليه أن يؤلف صاحبه شركة مصرية عراقية لانشاء مصنع للجلود ومدبغة في بغداد وقلت له : إنى أستطيع بمساعدة إخوانى في مصر والعراق أن أقنع جماعة من العراقيين بالدخول في هذه الشركة . ولصاحبك أن يدخل فيها بالقدر الذى هو في طوقه . والجلود في العراق وفيرة ورخيصة ، وجلبها من البلاد العربية إلى بغداد أسهل وأقل

كل ما دخل في طوقى أن أكتب ، فهل أفدت إلا الغرور والنفخة
الكذابة والصيت الفارغ . . وإلا العداوات والخصومات التي
لا داعي لها . . لا يا سيدى . . وإني لمستعد أن أنزل لك عن
نبوغى وعبقريتى وخيالى الخصب ونشاطى الجلم ولا أطلب إلا
دكاناً صغيراً أقل فيهِ الطعمية ، في سيدنا الحسين أو السيدة
زينب أو في بولاق . . أقف فيه وأمامى المقلاة وإلى جانبي
الزيت - زيت الزيتون من فضلك - والفول المدقوق وعلى ثوب -
أيض نظيف وورائى الموائد مصفوفة وعليها الأباريق
والأكواب . وأصص الزهر هنا وهناك . والأرض مفروشة
بالرمل الأصفر ، فاني أريد أن أرقى صناعة الطعمية ، وأجعل
منها فناً . . نعم ، خذ أدبي كله وخلودى أيضاً إذا كانا يستحقان
شيئاً واعطنى هذا الدكان الصغير وزرني بعد ذلك وشرقي
بالأكل عندى وعلى موائد الأنيقة الجميلة واحسدنى يومئذ ،
وقنا صامتين لأن كلامى هذا لم يعجبهما . . ولو أعجبهما
لرجوت أن أقتعهما بهذه المبادلة . . ولكن لا بأس . . لا بأس . .
ولا بأس أيضاً فلن أعدم صناعة أخرى أهتدى إليها في يوم من
الأيام . والعمر الطويل يبلغ الأمل كما تقول العامة في أمثالها
الحكيمة التي هي عصارة التجارب الانسانية على الدهور
ابراهيم عبر القادر المازنى

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

الطبعة الرابعة

ترجمتها : محمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشا

كلفة من جلبها إلى مصر ، أما الأسواق فعديدة . فهناك أسواق
العراق نفسها - والقوم هناك وطنيون عمليون يؤثرون صناعات
بلادهم ، والحكومة عظيمة التشجيع لها ولا أعتقد أنها تتردد في
أخذ حاجة جيشها من هذا المصنع إذا أنشئ . ثم ان هناك أسواق
جزيرة العرب وأسواق فلسطين وأسواق الشام وفي هذه البلاد
كلها يفضل الرجل مصنوعات بلاده فالمشروع لا شك في حسن
عائدته ولا خوف من الخسارة فيه وأنا مستعد أن أطلق الصحافة
والآداب وأعمل معه وأقوم له بكل ما يستدعيه الحصول على
رأس المال أولاً واستيراد الجلود من الجهات المختلفة وتصريف
المصنوعات في أسواق الجزيرة والعراق وفلسطين وسوريا .
فاقترح هذا على صاحبك وانظر ماذا يرى . . ووقف الأمر عند
هذا الحد لأن في المشروع مخاطرة بالمال ١١ . ولست أدرى أين
المخاطرة ولكن هذا ما كان . وهكذا ضاعت على فرصة حسنة
للتحرر من رق الصحافة والآداب . .

فسألتى أحدهما : . أوتكره الصحافة والآداب ؟

قلت : لا أكرههما ولكن أعمل فيهما كالخمار ولا أفيد منهما
إلا العناء . وإذا وسعنى أن أهجرهما إلا ما هو خير وأجدى
فلماذا لا أفعل ؟ وصدقنى حين أقول لك إنى لا أ كف عن
التفكير في وسيلة للنجاة منهما . وقد خطر لى أن أتخذ جراجاً
ولكن الجراج ، لا يكون إلا محدوداً وأنا أريد عملاً يحتمل
التوسيع على الأيام . وخطر لى أن أتخذ مطبعة ولكنى رأيت
أن المنافسة الشديدة بين أصحاب المطابع توشك أن تودى إلى
خرابهم جميعاً . وخطر لى أن أكون بائع طعمية ، وهذا
لا يتطلب رأس مال يستحق الذكر ، واقتنعت بأن هذا خير
ما يمكن أن أصنع وأنه أحسن وجه للخلاص من الصحافة ،
فذهبت أبحث عن محل صالح ولكنى كنت كلما عثرت على واحد
واهتديت إلى مكان يمكن أن تروج فيه هذه البضاعة أجد أن
غيرى قد سبقنى . . ولكنى لم أقط من رحمة الله . . وما زلت
أرجو أن أوفق إلى عمل صالح غير هذا الأدب الذى لا فائدة
منه لأحد ،

فسألتى ثانيهما : . هل تتكلم جاداً ؟

قلت : . أى والله . لقد قرأت كل ما وسعنى أن أقرأ وكنيت